AL-TAKAMUL AL-MA'RIFI | JUNE 2023 | VOL. 6 ISSUE 2
E: ISSN: 2716-6889 I E: ISSN: 2716-6902
http://devojs.usas.edu.my/altakamul/index.php/altakmulfiles

التصوير العام للملحة الكبرى بين الديانة السماوية

GENERAL DEPICTION OF THE EPIC BATTLE BETWEEN THE MONOTHEISTIC RELIGION

Yasir, R.
Jabatan Usuluddin, Fakulti Pengajian Islam dan Sains Sosial,
Universiti Sultan Azlan Shah, Bukit Chandan,
33000 Kuala Kangsar, Perak, Malaysia.
Tel: +60132229683 E-mail: yasir.ramlee@usas.edu.my

الملخص

إن الملحمة الكبرى سلسلة من سلاسل البلايا الشديدة التي تقع قبل نهاية العالم، وأهل الكتاب من اليهود والنصارى والمسلمين آمنوا بوقوعها عليهم. هذه الرسالة تهدف إلى كشف النصوص الواردة عن الملحمة الكبرى في المصادر الرئيسة التي تمسكوا بها أهل الكتاب، وبيان مدار الاختلاف والاتفاق بينهم، ومن ثم إزالة الغموض وسوء التفاهم الذي يدور حول هذه الواقعة. نهج الباحث على المنهجين الرئيسين في الرسالة، أولهما المنهج الاستقرائي، وذلك بتتبع الأحاديث الواردة عن الملاحم في أمهات الكتب الحديثية وبتتبع المصادر التي تمسكوا بها اليهود والنصارى. وثانيهما المنهج التحليلي، وذلك بتحليل النصوص الواردة لكشف محل الاتفاق والاختلاف لكل من الديانة. وجد الباحث في نهاية الدراسة بأن كل الديانة السماوية اتفقت على ثبوت وقوع الملحمة الكبرى آخر الزمان في دائرة الشام وما وحولها، وكذلك هم اتفقوا على عدة الحوادث قبل الملحمة كحادثة الصلح بين المسلمين والروم، وقيام الدولة في بيت المقدس. وأما مدار اختلافهم هو في التسمية الملحمة، وأطراف الملحمة التي تعارضهم في المعركة، والنتيجة النهائية بعد هذه الحادثة.

الكلمات المفتاحية: الملحمة الكبرى، اليهود، النصارى، أشراط الساعة، أحاديث الفتن.

AL-TAKAMUL AL-MA'RIFI | JUNE 2023 | VOL. 6 ISSUE 2
E: ISSN: 2716-6889 I E: ISSN: 2716-6902
http://devojs.usas.edu.my/altakamul/index.php/altakmulfiles

Abstract

The *mālaḥim* (epic battle) is a series of severe calamities that will occur before the end of the world and the People of the Book, including Jews, Christians, and Muslims, believe in its occurrence upon them. This paper aims to reveal the texts contained about this epic battle in the main scriptures of monotheistic religion and to clarify the scope of disagreement and agreement between them. Thus, it will eradicate the ambiguity and misunderstanding that revolve around this incident. The researcher adopted two methods in this study which are; inductive approach - by tracing the *ḥadīth* contained about epics battle in the main *ḥadīth* books and by tracing the sources to which the Jews and Christians adhered - and the analytical approach - by analyzing the texts received to reveal the areas of agreement and disagreement for each religion. As a result of this study, the researcher found that all monotheistic religion agreed that this epic battle will take place at *al-Shām* and its continent before the day of judgment. Furthermore, they also agreed that several events will occur before the battle, such as the incident of reconciliation between Muslims and the Romans, and the establishment of the state in Jerusalem. On the other hand, they differ in the naming of the battle, the parties of the epic that oppose them in the battle, and the result after this incident.

Keywords: Epic battle, Jews, Christians, Signs of the day of judgement, *Aḥadīth* of *fitan*.

المقدمة

إن الديانة السماوية جوهر عقيدتها الوحي من الله، مثبت من خلال الكتاب والرسل المرسلين، ومن الأمور التي الموحَى إلى الرسل كلهم حوادث آخر الزمان بل مأمورون بتبليغها إلى الناس أجمعين لأن لا سبيل إلى معرفتها إلا من طريق الوحي. فالمفروض لا ينبغي وجود اختلاف بين هذه الديانة في الأمور العقدية، ولكن كما نعلم أن اليهود والنصارى لم يتمسكوا بكتبهم الأصلية وتعليم رسلهم، بل زاغوا عنهما واتبعوا مصادر أخرى.

والملحمة الكبرى من سلسلة الأحداث المستقبلية في آخر الزمان، والمسلمون وجدوا ذكرها في أقوال النبي صلى الله عليه وسلم من مرويات الصحابة عنه. وكذلك النصارى وجدوا ما يشبهها في الإنجيل، واليهود في التوراة على اختلاف في بعض التفاصيل.

لو أردنا النظر إلى موقف اليهود الحقيقي من ملحمة آخر الزمان فلا بد من معرفة مصادر الاستدلال عندهم. ويعد التوراة وأسفار الرسل هما المصدر الأساسي، وهو ما يطلق عليه النصارى العهد القديم في زماننا. واليهود يطلقون اسم التوراة على مجموعة الأسفار التي أنزلت على موسى عليه السلام، وكلمة التوراة في اللغة العبرية بمعنى "تعليمات"، تتكون من سفر التكوين، والخروج، واللاويون،

والعدد، والتثنية. والسفر سفير بالعبرية بمعنى كتابًا، ويقسم إلى إصحاحات، ويقسم كل إصحاح إلى فقرات، وتقسم كل فقرة إلى مقاطع (المسيري، ١٩٩٩م).

وأما اليوم، يطلق كتاب اليهود (التوراة) على العهد القديم أو العهد العتيق تمييزًا عن العهد الجديد الذي كتبت أسفاره بعد عيسى عليه السلام، ولعل أول من أطلق هذه التسمية على التوراة بولس في رسالته لكورنثوس. ولكن إذا نظرنا داخل مجتمع اليهود فإن كلمة العهد القديم ليست شائعة الاستخدام وغير مألوفة بالنسبة لهم، كما أن مصطلح "العهد الجديد" لم يرد في كتبهم ولا يعرفون عنه شيئًا، فمعظم الكتب التي أسماها المسيحيون بالعهد الجديد لا تنتمي إلى النصوص اليهودية ولا يقدسونها شأنها شأن باقي الكتب المقدسة (الفرق بين التوراة والتلمود، ٢٠٢٠م).

وأما المصدر الأساسي الذي اعتمد عليه النصارى هو العهد الجديد الذي ينقسم إلى الأناجيل الأربعة، ورسائل الرسل وأسفارهم. والإنجيل أصلًا فهو كتاب الله المنزل على نبيّه عيسى عليه السلام فيه هدى ونور، وهو في اللغة اليونانية بمعنى الحلوان، الهدية التي تعطى لمن أتى ببشارة طيبة (أحمد شلبي، ١٩٩٧م). ويطلق النصارى الإنجيل ببشارة المسيح، وتعاليمه، وترجمة حياته، كل من "متى" و"مرقس" و"لوقا" و"يوحنا"، وهذه الأربعة هي المعتمدة عند النصارى دون سواها (صابر طعيمة، ١٤٠٦هـ). والجدير بالذكر هنا، أن تدوين الإنجيل تأثر بفلسفة الإغريق والقانون الروماني، وجعلا الإنجيل لا يمثل حقيقة المسيحية، ولا يسلم من آراء مزيفة وأغراض غير كريمة (أحمد شلبي، ١٩٩٧).

وأسفار الرسائل هي سفر أعمال الرسل، وإحدى وعشرون رسالة تعنى بتعليم النصرانية، يعتقدون أن جميع هذه الرسائل كتبت بالإلهام، وأكثر الرسائل من بولس، وبالتالي يمكن أن يقول بأن بولس هو واضع التشريع المسيحية (أحمد شلبي، ١٩٩٧م).

وهذه دراسة تهدف إلى إيضاح عقيدة لكل من الديانة السماوية من الإسلام واليهود والنصارى اتجاه واقعة الملحمة الكبرى. وبمقتضى طبيعة الموضوع وخصائصه، سينهج الباحث على المنهجين الرئيسين، أولهما المنهج الاستقرائي، وذلك بتتبع الأحاديث الواردة عن الملاحم في أمهات الكتب الحديثية وبتتبع المصادر التي تمسكوا بها اليهود والنصارى للوصول إلى الحقائق والمعلومات. وثانيهما المنهج التحليلي، وذلك بتحليل النصوص الواردة في السنة النبوية والنصوص الواردة في العهد القديم والجديد تحليلاً علميًّا، لكشف محل الاتفاق والاختلاف لكل من الديانة.

التصوير العام للملحة الكبرى في الإسلام

إن كلمة الملحمة أصل من (لَ حَ مَ)، واللَّحْمَةُ عند العرب: القطعة منه. واللُّحْمَةُ: القرابة، يقال بينهم لُحْمَةٌ نسب أي قرابة. وأما الملحمة الوقعة العظيمة القتل في الفتنة، وقيل الحرب ذات القتل الشديد، مأخوذ من اشتباك الناس واختلاطهم فيها كاشتباك لحمة الثوب بالسدى (الزبيدي، د.ت).

والملحمة أيضًا تدل على موضع وقوع القتال، أو المعركة ذات القتل الشديد لأن فيها اشتباك الناس واختلاطهم كاشتباك لحمة الثوب بالسدى، وبعض اللغويين من خصّص الملحة بقتال زمن الفتنة تمييزًا بينها وبين الحرب العادية (ابن منظور، ١٤١٤هـ).

لم تذكر كلمة الملحمة في القرآن الكريم، ولكنها وردت في عدة الأحاديث منها قوله صلى الله عليه وسلم: «يوم الملحمة الكبرى فسطاط المسلمين، بأرض يقال لها الغوطة، فيها مدينة يقال لها دمشق، خير منازل المسلمين يومئذ» (الحاكم، الفتن والملاحم، ٥٤٩٦)، وفي رواية عن معاذ بن جبل رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الملحمة العظمى فتح القسطنطينية وخروج الدجال في سبعة أشهر» (الترمذي، الفتن، ٢٢٣٨).

وأحاديث الملحمة على الأغلب مقترنة بأحاديث الفتن، ولعل السبب لأن القتال والحروب العظام ستقع في زمن الفتنة وتكون مقترنة بعلامات الساعة، كما جاء في الحديث عنه صلى الله عليه وسلم: «يتقارب الزمان، وينقص العمل، ويلقى الشح، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج» قالوا: يا رسول الله، أيم هو؟ قال: «القتل القتل» (البخاري، الفتن، ٧٠٦١).

وصف لنا النبي صلى الله عليه وسلم الملحمة بالكبرى لكثرة عدد المقاتلين والمتلحمين فيها، وما يكون فيها من القتلى. وتسمّى أحيانًا بالملحمة العظمى، قيل لأنها هي التي يتعادى فيها بنو الأب ولا يجدون من مائة إلا واحدًا، وقيل لأن المراد بها فتح المدينة حيث فتحت بعظمة أسماء الله الحسنى (الملا القاري، ٢٠١٢م).

لو جمعنا الرويات كلها لوجدنا أن هذه الملحمة ستكون بعد الصلح بين المسلمين والروم، وذلك على إثر الانتهاء من معركة مشتركة بينهما، واجهوا عدوًا ثالثًا، ثم ينكث الروم العهد وينقضون الميثاق، فتقع هذه الملحمة العظيمة التي يكون في خاتمها نصر المسلمين، كما دل على ذلك عدد من الأحاديث.

فمن تلك الأحاديث حديث جبير بن نفير، عن الهدنة، قال: قال جبير: انطلق بنا إلى ذي مخبر رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، فأتيناه فسأله جبير عن الهدنة، فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ستصالحون الروم صلحًا آمنًا، فتغزون أنتم وهم عدوًا من ورائكم، فتنصرون، وتغنمون، وتسلمون، ثم ترجعون حتى تنزلوا بمرج ذي تلول، فيرفع رجل من أهل النصرانية الصليب، فيقول: غلب الصليب، فيغضب رجل من المسلمين، فيدقه، فعند ذلك تغدر الروم، وتجمع للملحمة» (أبو داود، الملاحم، ٤٢٩٢).

وأيضًا في حديث يسير بن جابر أنه قال: هاجت ريح حمراء بالكوفة، فجاء رجل ليس له هجيرى إلا: "يا عبد الله بن مسعود جاءت الساعة"، قال: فقعد وكان متكئًا، فقال: "إن الساعة لا تقوم، حتى لا يقسم ميراث، ولا يفرح بغنيمة"، ثم قال: بيده هكذا – ونحاها نحو الشام – فقال: "عدو يجمعون لأهل الإسلام، ويجمع لهم أهل الإسلام"، قلت: "الروم تعني؟" قال: "نعم، وتكون عند ذاكم القتال ردة شديدة، فيشترط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبة، فيقتتلون حتى يحجز بينهم الليل، فيفيء هؤلاء وهؤلاء، كل غير غالب، وتفنى الشرطة، ثم يشترط المسلمون شرطة للموت، لا ترجع إلا غالبة، فيقتتلون حتى يحجز بينهم الليل، فيفيء هؤلاء وهؤلاء، كل غير غالب، وتفنى الشرطة، ثم يشترط المسلمون شرطة للموت، لا ترجع إلا غالبة، فيقتتلون حتى يمسوا، فيفيء هؤلاء وهؤلاء، كل غير غالب، وتفنى الشرطة، فإذا كان يوم الرابع، نهد إليهم بقية أهل الإسلام، فيجعل الله الدبرة عليهم، فيقتلون مقتلة – إما قال لا يرى مثلها، وإما قال لم ير مثلها – حتى إن الطائر ليمر بجنباتهم، فما يخلفهم حتى يخر ميتًا، فيتعاد بنو الأب، كانوا مائة، فلا يجدونه بقي منهم إلا الرجل الواحد، فبأي غنيمة يفرح؟ أو أي ميراث يقاسم، فبينما هم كذلك إذ سمعوا ببأس، هو أكبر من ذلك، فجاءهم الصريخ، إن الدجال قد خلفهم في ذراريهم، فيرفضون ما في أيديهم، ويقبلون، فيبعثون عشرة فوارس طليعة. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إني لأعرف أسماءهم وأسماء آبائهم، وألوان خيولهم، هم خير فوارس على ظهر الأرض يومئذ – أو من خير فوارس على ظهر الأرض يومئذ –» (مسلم، الفتن وأشراط الساعة، ٢٨٩٩).

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق أو بدابق، فيخرج إليهم جيش من المدينة، من خيار أهل الأرض يومئذ، فإذا تصافوا، قالت الروم: خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم، فيقول المسلمون: لا! والله لا نخلي بينكم

وبين إخواننا، فيقاتلونهم، فينهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبدًا، ويقتل ثلثهم، أفضل الشهداء عند الله، ويفتتح الثلث، لا يفتنون أبدًا فيفتتحون قسطنطينية، فبينما هم يقتسمون الغنائم، قد علقوا سيوفهم بالزيتون، إذ صاح فيهم الشيطان: "إن المسيح قد خلفكم في أهليكم"، فيخرجون، وذلك باطل، فإذا جاءوا الشأم خرج، فبينما هم يعدون للقتال، يسوون الصفوف، إذ أقيمت الصلاة، فينزل عيسى ابن مريم عليه السلام، فأمهم، فإذا رآه عدو الله، ذاب كما يذوب الملح في الماء، فلو تركه لانذاب حتى يهلك، ولكن يقتله الله بيده، فيريهم دمه في حربته» (مسلم، الفتن وأشراط الساعة، ٢٨٩٧).

وبالنظر إلى هذه الروايات كلها، يتضح لنا أن علاقة المسلمين والروم قبل الملحمة علاقة صلح وهدنة، وحصول معركة بين المتهادنين وبين عدو آخر، ولم تذكر أي من الروايات تحديد لهذا العدو، والداعي إلى هذه الهدنة إما تحقيق الأمن أو وجود العدو المشترك القوي الذي سيقاتلونه معًا (السقاف، ١٤٣٥هـ).

وبعد تلك المعركة المشتركة ينزل الجيوش بالأعماق أو دابق، فهذه نقطة بداية للملحمة حين يجتمع جيوش المسلمين مع جيوش الروم، إذ يصعد رجل من الروم التلال رافعًا الصليب يزعم أن انتصار المعركة كان ببركته حيث يقول: غلب الصليب، فلما سمعه رجل من المسلمين فيردّ عليه بأن الانتصار لله وحده لا شريك له، ويقول: بل الله غلب! فيعمد رجل من المسلمين إلى صليبهم فيحطمه، وإلى الرومي فيقتله، فيثور جيوش الروم إلى المسلم فيقتلونه، فتنتصر جيوش المسلمين لأخيهم المقتول. ومن هنا تبدأ الاستعدادات للجمع العظيم، ويسفر هذا الجمع عن جيش كبير قوامه تسعمئة وستون ألفًا، موزّعون على ثمانين راية، تحت كل راية اثنا عشر ألفًا، وينزل هذا الجيش كله بالأعماق أو بدابق.

فالملحمة الكبرى هي حادثة عظيمة وأقوى المواجهات الحربية بين المسلمين والنصارى منذ وفاة نبينا صلى الله عليه وسلم على وجه الأرض، إذ جمعوا فيها كل ما يمكن جمعه من الطرفين. والظاهر من هذه الملحمة أنها المحاربة الدينية، فالنصارى يحاربون المسلمين نصرة وحمية لصليبهم، وجيش المسلمين جاهدوا نصرة لدين الله تعالى، ودفاعًا عن إخوانهم ودولتهم، ومحاربة للطاغوت والشرك.

ومن ثم، فإن هذه الملحمة مقترنة بالأحداث الأخرى، كما في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عمران بيت المقدس خراب يثرب، وخراب يثرب خروج الملحمة، وخروج الملحمة فتح قسطنطينية، وفتح القسطنطينية خروج الدجال»، (أبو داود، الملاحم، ٤٢٩٤). فهذه المعركة تهيئة لفتح القسطنطينية، وظهور المهدي والدجال، ونزول عيسى عليه السلام.

فلا يصح التنزيل بإهمال جزء من النصوص أو العلامات، بأن يتضمن الحديث صفة لم تتحقق في الواقع فيغض الطرف عنها ليصح أو ليؤيد تلك التنزيل، بل الواجب أن يأخذ مضمون الحديث كاملًا تامًا، وإلا يعد التنزيل عبثًا باطلًا.

التصوير العام للملحمة الكبرى عند اليهود

الجدير بالذكر قبل مناقشة فكرة اليهود للملحمة الكبرى، أنه لم تصرح أسفار التوراة بفكرة الآخرة تصريحًا بينًا بل لا يكاد يوجد شيء منها، وإنما نشأت العقائد الأخروية عندهم بطابع التاريخ اليهودي العام على أساس عقيدة البعث الذي ترتب منه جملة العقائد الأخروية كالحساب، والثواب، والعقاب، والجنة والنار (مصطفى عبد المعبود، ١٤٣٢هـ). والملحمة الكبرى لها علاقة بينة بالأمور الأخروية في كل الأديان السماوية، فلا بد من ذكر هذه الحقيقة.

وتطورت نظرة اليهود في هذه العقائد بعد سقوط مملكتي إسرائيل ويهوذا على يد الأشوريين والبابلين على التوالي، فبينما كان ثوابهم وعقابهم مقصور على الحياة الدنيا فبدؤوا الاتجاه الفكري في إمكانية بعث المملكة من جديد في مستقبل الأيام، يعني أن اليهودية بدأت في التاريخ ديانة بسيطة ثم تطورت تاريخيًا الأمر الذي أضاف إلى بنيتها الأساسية البسيطة تغييرات وتعديلات أدت إلى أن تصبح على درجة التعقيد ابتعدت بها عن بساطتها القديمة، بخلاف دين الإسلام الذي جاء كاملًا منذ بدايته (محمد خليفة، ١٤١٨هـ).

وتفكير اليهود في الغيبيات بعد أن تعرضوا للسبي البابلي وللتشتيت في الأرض على أيدي الرومان يتخذ اتجاهين محددين (البعلبكي، ١٩٨٠م)؛ أوله نهاية العالم، وثانيه الخلاص على يد المسيح المنتظر (حسن ظأظأ، ١٩٨١م).

فالملحمة عند اليهود عبارة عن غضب الرب عليهم (الأحمدي، ١٤٣٤هـ)، وهذه العبارة واردة في أسفار العهد القديم بصيغ "يوم غضب الرب"، "يوم سخط الرب"، "يوم الغضب"، و"يوم الرب". وأنها مضرات شدائد ستلحق بني إسرائيل بسبب ذنوبهم وعدم توبتهم، وربطوا هذه الشدائد باجتماعهم في فلسطين، وإقامتهم دولتهم فيها، وهو ما سيؤدي إلى محاصرة الأمم لهم وهجومها عليهم، وقضائها على دولتهم وضربها الذلة والصغار على من بقي حيّا منهم (الفيومي، ١٨٨٠م).

ومن تلك الذنوب والمعاصي المؤدية إلى نزول غضب الرب الكفر بالله عز وجل، وسفك الدماء المعصومة بغير الحق بسبب تنافس رؤسائهم، وظلمهم للضعفاء والمساكين والأيتام والأرامل.

ذكر أحد علماء اليهود سعديا الفيومي (١٨٨٠م)، أن بني إسرائيل سيصيبهم في آخر الزمان بلاء وشدة بعد أن يجتمع بعضهم في فلسطين ويقيموا لهم دولة فيها، ورجوعهم مسبوقًا بظهور رجل صالح في جبل الجليل يقال إنه من ولد يوسف عليه السلام يسمونه "المسيح ابن يوسف". فيجتمع قوم من اليهود حوله، ثم يستولي على بيت المقدس بعد أن كان في حيازة الروم، ويكون مقامه فيه، وبسببه تنزل باليهود الشدائد والمضرات، مما يدفعهم إلى التوبة.

إن الملحمة الكبرى في اعتقاد اليهود تبدأ بحصار جيوش الأمة التي أرسلها الرب إلى اليهود عقابًا لهم على امتلاء دولتهم بالظلم، فتقطع أشجارهم، ثم يستحث بعض الأفراد بأن يعجلوا بالهجوم على أروشليم. وعلاوة على الحصار، ينتشر الخوف والهلع بين اليهود حتى لا يستطيعون الخروج من بيوتهم خوفًا من سيوف الجيش.

ذكر في سفر أرميا: «[6]لأَنَّهُ هكَذَا قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ: اقْطَعُوا أَشْجَارًا. أَقِيمُوا حَوْلَ أُورُشَلِيمَ مِتْرَسَةً. هِيَ الْمَدِينَةُ الْمُعَاقَبَةُ. كُلُّهَا ظُلْمٌ فِي وَسَطِهَا. [7]كَمَا تُنْبِعُ الْعَيْنُ مِيَاهَهَا، هكَذَا تُنْبِعُ هِيَ شَرَّهَا. ظُلْمٌ وَخَطْفٌ يُسْمَعُ فِيهَا. أَمَامِي دَائِمًا مَرَضٌ وَضَرْبٌ. [8]تَأَدَّبِي يَا أُورُشَلِيمُ لِئَلاَّ تَجْفُوَكِ نَفْسِي. لِئَلاَّ أَجْعَلَكِ خَرَابًا، أَرْضًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ.» (أرميا ٦: ٦-٨).

وبعد ذلك الحصار، تشرع جيوش هذه الأمة بالهجوم على اليهود، فتنطلق الجيوش صوب الأسوار، ويصعدون فوق الجدر، وبعضهم من النوافذ، كل واحد يسير في طريقه ليصل إلى المطلوب.

وقد عبر سفر يوئيل عن شدة هذا اليوم: «[7]يَجْرُونَ كَأَبْطَال. يَصْعَدُونَ السُّورَ كَرِجَالِ الْحَرْبِ، وَيَمْشُونَ كُلُّ وَاحِدٍ فِي طَرِيقِهِ، وَلاَ يُغَيِّرُونَ سُبُلَهُمْ. [8]وَلاَ يُزَاحِمُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا. يَمْشُونَ كُلُّ وَاحِدٍ فِي سَبِيلِهِ، وَبَيْنَ الأَسْلِحَةِ يَقَعُونَ وَلاَ يَنْكَسِرُونَ. [9]يَتَرَاكَضُونَ فِي الْمَدِينَةِ. يَجْرُونَ عَلَى السُّورِ. يَصْعَدُونَ إِلَى الْبُيُوتِ. يَدْخُلُونَ مِنَ الْكُوَى كَاللِّصِّ. [10]قُدَّامَهُ تَرْتَعِدُ الأَرْضُ وَتَرْجُفُ السَّمَاءُ. اَلشَّمْسُ وَالْقَمَرُ يُظْلِمَانِ، وَالنُّجُومُ تَحْجُزُ لَمَعَانَهَا. [11]وَالرَّبُّ يُعْطِي صَوْتَهُ أَمَامَ جَيْشِهِ. إِنَّ عَسْكَرَهُ كَثِيرٌ جِدًّا. فَإِنَّ صَانِعَ قَوْلِهِ قَوِيٌّ، لأَنَّ يَوْمَ الرَّبِّ عَظِيمٌ وَمَخُوفٌ جِدًّا، فَمَنْ يُطِيقُهُ؟ [12]«وَلكِنِ الآنَ، يَقُولُ الرَّبُّ، ارْجِعُوا إِلَيَّ بِكُلِّ قُلُوبِكُمْ، وَبِالصَّوْمِ وَالْبُكَاءِ وَالنَّوْحِ. [13]وَمَزِّقُوا قُلُوبَكُمْ لاَ ثِيَابَكُمْ». وَارْجِعُوا إِلَى الرَّبِّ إِلهِكُمْ لأَنَّهُ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ، بَطِيءُ الْغَضَبِ وَكَثِيرُ الرَّأْفَةِ وَيَنْدَمُ عَلَى الشَّرِّ» (يوئيل: ٧-١٢).

وأما نصيب اليهود في يوم غضب الرب فينقسم إلى ثلاثة أقسام (الأحمدي، ١٤٣٤هـ):

1. ثلث اليهود يموتون في أيام الحصار بغير السيف، يموتون بسبب الجوع والوباء، جاء في سفر حزقيال: «[12]ثُلُثُكِ يَمُوتُ بالوباء، وَبِالْجُوعِ يَفْنَوْنَ فِي وَسْطِكِ» (حزقيال ٥: ١٢)، ثم يحرقون جثة إخوانهم لتعذر الدفن بسبب حال ضرر الجوع والخوف، «[2]وَأَحْرِقْ بِالنَّارِ ثُلُثَهُ فِي وَسْطِ الْمَدِينَةِ إِذَا تَمَّتْ أَيَّامُ الْحِصَارِ» (حزقيال ٥: ٢).
2. ثلث اليهود يقتلون بالسيف في يوم غضب الرب، جاء في سفر حزقيال: «وَثُلُثٌ يَسْقُطُ بِالسَّيْفِ مِنْ حَوْلِكِ» (حزقيال ٥: ٢).
3. ثلث اليهود ينجون من الموت يوم غضب الرب عليهم، جاء في سفر زكريا: «[8]وَيَكُونُ فِي كُلِّ الأَرْضِ، يَقُولُ الرَّبُّ، أَنَّ ثُلْثَيْنِ مِنْهَا يُقْطَعَانِ وَيَمُوتَانِ، وَالثُّلْثَ يَبْقَى فِيهَا» (حزقيال ٥: ٢).

ويعتقد أكثر اليهود ظهور المسيح المخلص في آخر الزمان بعد أن يتوبوا من ذنوبهم ويلتزموا الشرائع، ويكون على يديه استرداد بيت المقدس مرّة أخرى، ويصلح الدنيا قبل فنائها ويعمرها بالقسط والعدل (الكتاني، ١٤٣٤هـ).

جاء في سفر إشعياء: «[1]رُوحُ السَّيِّدِ الرَّبِّ عَلَيَّ، لأَنَّ الرَّبَّ مَسَحَنِي لأُبَشِّرَ الْمَسَاكِينَ، أَرْسَلَنِي لأَعْصِبَ مُنْكَسِرِي الْقَلْبِ، لأُنَادِيَ لِلْمَسْبِيِّينَ بِالْعِتْقِ، وَلِلْمَأْسُورِينَ بِالإِطْلاَقِ. [2]لأُنَادِيَ بِسَنَةٍ مَقْبُولَةٍ لِلرَّبِّ، وَبِيَوْمِ انْتِقَامٍ لإِلهِنَا. لأُعَزِّيَ كُلَّ النَّائِحِينَ. [3]لأَجْعَلَ لِنَائِحِي صِهْيَوْنَ، لأُعْطِيَهُمْ جَمَالاً عِوَضًا عَنِ الرَّمَادِ، وَدُهْنَ فَرَحٍ عِوَضًا عَنِ النَّوْحِ، وَرِدَاءَ تَسْبِيحٍ عِوَضًا عَنِ الرُّوحِ الْيَائِسَةِ، فَيُدْعَوْنَ أَشْجَارَ الْبِرِّ، غَرْسَ الرَّبِّ لِلتَّمْجِيدِ. [4]وَيَبْنُونَ الْخِرَبَ الْقَدِيمَةَ. يُقِيمُونَ الْمُوحِشَاتِ الأُوَلَ، وَيُجَدِّدُونَ الْمُدُنَ الْخَرِبَةَ، مُوحِشَاتِ دَوْرٍ فَدَوْرٍ. [5]وَيَقِفُ الأَجَانِبُ وَيَرْعَوْنَ غَنَمَكُمْ، وَيَكُونُ بَنُو الْغَرِيبِ حَرَّاثِيكُمْ وَكَرَّامِيكُمْ. [6]أَمَّا أَنْتُمْ فَتُدْعَوْنَ كَهَنَةَ الرَّبِّ، تُسَمَّوْنَ خُدَّامَ إِلهِنَا. تَأْكُلُونَ ثَرْوَةَ الأُمَمِ، وَعَلَى مَجْدِهِمْ تَتَأَمَّرُونَ. [7]عِوَضًا عَنْ خِزْيِكُمْ ضِعْفَانِ، وَعِوَضًا عَنِ الْخَجَلِ يَبْتَهِجُونَ بِنَصِيبِهِمْ. لِذلِكَ يَرِثُونَ فِي أَرْضِهِمْ ضِعْفَيْنِ. بَهْجَةٌ أَبَدِيَّةٌ تَكُونُ لَهُمْ» (إشعياء ٦١: ١-٧).

التصوير العام للملحمة الكبرى عند النصارى

يعتقد النصارى أن العالم سيشهد في آخر الزمان ملاحم عظيمة، يسمونه "هَرْمُجَدُونَ"، أي أن العالم سيتجه إلى صراع عسكري حاسم بين قوى الخير والشر، وينتهي بفناء العالم، ليبدأ "عالم المسيح" الذي يتحقق فيه السلام الكامل، وينعم فيه بالأمن الأمان (الأحمدي، ١٤٣٤هـ). وهرمجدون هو موقع المعركة العظمى نفسها بين جيش النصارى وبين جيش الشر.

وكلمة هرمجدون اسم عبري بمعنى "جبل أو تل مجدون"، وهو عبارة عن موضع يقع في مرج ابن عامر بفلسطين، والآن هو تل المتسلّم الواقع على بعد 20 ميلًا جنوب شرق حيفا في الطرف الجنوبي من سلسلة الجبال التي تنتهي بجبل الكرمل في الشمال (بطرش عبد الملك، ١٩٩٥م). كلمة هرمجدون مذكورة مرة واحدة فقط في الكتاب المقدس، وهي في سفر الرؤيا وبالتحديد في الفصل 16، الآية 16.

«[13]وَرَأَيْتُ مِنْ فَمِ التِّنِّينِ، وَمِنْ فَمِ الْوَحْشِ، وَمِنْ فَمِ النَّبِيِّ الْكَذَّابِ، ثَلاَثَةَ أَرْوَاحٍ نَجِسَةٍ شِبْهَ ضَفَادِعَ، [14]فَإِنَّهُمْ أَرْوَاحُ شَيَاطِينَ صَانِعَةٌ آيَاتٍ، تَخْرُجُ عَلَى مُلُوكِ الْعَالَمِ وَكُلِّ الْمَسْكُونَةِ، لِتَجْمَعَهُمْ لِقِتَالِ ذلِكَ الْيَوْمِ الْعَظِيمِ، يَوْمِ اللهِ الْقَادِرِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ. [15]«هَا أَنَا آتِي كَلِصٍّ! طُوبَى لِمَنْ يَسْهَرُ وَيَحْفَظُ ثِيَابَهُ لِئَلاَّ يَمْشِيَ عُرْيَانًا فَيَرَوْا عُرْيَتَهُ». [16]فَجَمَعَهُمْ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي يُدْعَى بِالْعِبْرَانِيَّةِ «هَرْمَجَدُّونَ» (يوحنا اللاهوتي ١٦: ١٣-١٥).

فمن خلال هذه الآيات، اعتقد بعض النصارى بأن المعركة ستكون بين ملوك العالم، وجميع جيوش الأمم ستشارك فيه، ثم أنها تكون بعد تحقق عدد من العلامات (الأحمدي، ١٤٣٤هـ):

1. قيام دولة يهودية في فلسطين في آخر الزمان، وقيام هذه الدولة يؤدي إلى التعجيل بالمجيء الثاني للمسيح، واستدل بقول المسيح عيسى عليه السلام في إنجيل متى: «[32]فَمِنْ شَجَرَةِ التِّينِ تَعَلَّمُوا الْمَثَلَ: مَتَى صَارَ غُصْنُهَا رَخْصًا وَأَخْرَجَتْ أَوْرَاقَهَا، تَعْلَمُونَ أَنَّ الصَّيْفَ قَرِيبٌ. [33]هكَذَا أَنْتُمْ أَيْضًا، مَتَى رَأَيْتُمْ هذَا كُلَّهُ فَاعْلَمُوا أَنَّهُ قَرِيبٌ عَلَى الأَبْوَابِ» (متى ٢٤: ٣٢-٣٣)، ووجه الاستدلال من تلك الآية أن شجرتي التين والعنب في الكتاب المقدس ترمزان بني إسرائيل، لما جاء في سفر هوشع: «وَجَدْتُ إِسْرَائِيلَ كَعِنَبٍ فِي الْبَرِّيَّةِ. رَأَيْتُ آبَاءَكُمْ كَبَاكُورَةٍ عَلَى تِينَةٍ فِي أَوَّلِهَا...». (هوشع ٩: ١٠).

2. اختطاف المسيح كنيسته سرًّا إلى السماء قبل مجيئه الثاني ليشهدوا زفافه بعروسه الكنيسة، ولحماية الأحياء من أتباعه من ويلات الضيقة وهرمجدون، وقد ذكر في إنجيل يوحنا: «[1]لاَ تَضْطَرِبْ قُلُوبُكُمْ. أَنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ فَآمِنُوا بِي. [2]فِي بَيْتِ أَبِي مَنَازِلُ كَثِيرَةٌ، وَإِلاَّ فَإِنِّي كُنْتُ قَدْ قُلْتُ لَكُمْ. أَنَا أَمْضِي لأُعِدَّ لَكُمْ مَكَانًا، [3]وَإِنْ مَضَيْتُ وَأَعْدَدْتُ لَكُمْ مَكَانًا آتِي أَيْضًا وَآخُذُكُمْ إِلَيَّ، حَتَّى حَيْثُ أَكُونُ أَنَا تَكُونُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا، [4]وَتَعْلَمُونَ حَيْثُ أَنَا أَذْهَبُ وَتَعْلَمُونَ الطَّرِيقَ» (يوحنا 14: 1-3).
3. أحداث زمان الضيق قبل هرمجدون، قال في إنجيل متى: «[20]وَصَلُّوا لِكَيْ لاَ يَكُونَ هَرَبُكُمْ فِي شِتَاءٍ وَلاَ فِي سَبْتٍ، [21]لأَنَّهُ يَكُونُ حِينَئِذٍ ضِيقٌ عَظِيمٌ لَمْ يَكُنْ مِثْلُهُ مُنْذُ ابْتِدَاءِ الْعَالَمِ إِلَى الآنَ وَلَنْ يَكُونَ.» (متى 24: 20-21). ومن الأحداث التي ستكون في زمان الضيق انتشار الارتداد والحروب، وحدوث المجاعات، ووقوع الأوبئة والزلازل في بعض الأمكنة، وانتشار التباغض، وانقطاع الأخوة والمحبة.

يعتقد النصارى أن هرمجدون تكون على مشاركة الرب المسيح وجنوده معارض قوة الشر من ملوك الأرض، والوحش ضمن الأمم المجتمعة، والنبي الكذاب، والشياطين في معركة قبل حادثة نهاية العالم.

وقد جاء في سفر رؤيا يوحنا: «[19]وَرَأَيْتُ الْوَحْشَ وَمُلُوكَ الأَرْضِ وَأَجْنَادَهُمْ مُجْتَمِعِينَ لِيَصْنَعُوا حَرْبًا مَعَ الْجَالِسِ عَلَى الْفَرَسِ وَمَعَ جُنْدِهِ. [20]فَقُبِضَ عَلَى الْوَحْشِ وَالنَّبِيِّ الْكَذَّابِ مَعَهُ، الصَّانِعِ قُدَّامَهُ الآيَاتِ الَّتِي بِهَا أَضَلَّ الَّذِينَ قَبِلُوا سِمَةَ الْوَحْشِ وَالَّذِينَ سَجَدُوا لِصُورَتِهِ» (رؤيا يوحنا 19: 19).

وفي نفس السفر ذكر بكل وضوح: «[13]وَرَأَيْتُ مِنْ فَمِ التِّنِّينِ، وَمِنْ فَمِ الْوَحْشِ، وَمِنْ فَمِ النَّبِيِّ الْكَذَّابِ، ثَلاَثَةَ أَرْوَاحٍ نَجِسَةٍ شِبْهَ ضَفَادِعَ، [14]فَإِنَّهُمْ أَرْوَاحُ شَيَاطِينَ صَانِعَةٌ آيَاتٍ، تَخْرُجُ عَلَى مُلُوكِ الْعَالَمِ وَكُلِّ الْمَسْكُونَةِ، لِتَجْمَعَهُمْ لِقِتَالِ ذلِكَ الْيَوْمِ الْعَظِيمِ، يَوْمِ اللهِ الْقَادِرِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ. [15]«هَا أَنَا آتِي كَلِصٍّ! طُوبَى لِمَنْ يَسْهَرُ وَيَحْفَظُ ثِيَابَهُ لِئَلاَّ يَمْشِيَ عُرْيَانًا فَيَرَوْا عُرْيَتَهُ». [16]فَجَمَعَهُمْ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي يُدْعَى بِالْعِبْرَانِيَّةِ «هَرْمَجَدُّونَ»» (رؤيا يوحنا 16: 13-15).

فمن خلال الآيات السابقة، يعتقد النصارى أن الملحمة أطلقت باسم "معصرة غضب الله العظيمة" (ابن كاتب قيصر، ١٩٩٤م)، ويتقد بأن المسيح سيقضي على أعدائه في هرمجدون ليخلو

الأرض من الأشرار وخلوصها للأتقياء، الذين آمنوا بالرب في زمن الضيق، وبذلك يخضع العالم كله لحكم الرب الذي يستمر مدّة ألف سنة (الأحمدي، ١٤٣٤هـ).

وأما الهدف من هذه المعركة العظيمة عند النصارى هو تنبيهًا لهم لإقامة الصلاة وتقوية الإيمان لمواجهة الأشرار، وذلك من أجل انتصار الخير على الشر في النهاية والوصول إلى نهاية السعادة.

يوضح علماء اللاهوت المقصد من ذكر الملحمة ("علامات الأزمنة الأخيرة"، ٢٠٠٠م): "إن جل هدف السفر هو تنبيه المؤمنين والكنائس للسهر والصلاة والاستعداد لمواجهة الحرب الكونية بين المسيح والشيطان وجنوده من البشر، وذلك بالصلاة والثبات على الإيمان والقدرة على التمييز بين الخير والشر، والتفريق بين الإيمان الصحيح والإيمان الباطل المزيف".

تحليل مدى الاتفاق والاختلاف بين الديانة السماوية للملحمة الكبرى

بناء على ما سبق تتضح لنا بعض الأمور المتفقة عن اعتقاد الملحمة الكبرى:

1. إن الإسلام يتفق عمومًا مع أهل الكتاب من النصارى واليهود في وقوع الملحمة الكبرى في آخر الزمان، كما ثبت في المصادر المعتمدة لكل من الأديان.
2. إن الملحمة الكبرى ستكون في دائرة الشام وما حولها، وبيت المقدس له علاقة أو اتصال بهذه الملحمة بين الأديان الثلاث. فاعتقد المسلمون أن عمران بيت المقدس علامة قبل وقوع الملحمة، وأما عند اليهودي أن قيام الدولة في بيت المقدس وامتلاء الظلم فيه يؤدي إلى غضب الرب وهجوم الأمم عليهم، ويؤمن النصارى بحدوث هرمجدون يكون بعد قيام دولة اليهود في بيت المقدس.
3. هناك عدة حوادث تسبق وقوع هذه الملحمة، مثل حادثة الصلح بين المسلمين والروم، وخراب المدينة وعمران بيت المقدس عند المسلمين، وقيام الدولة في بيت المقدس، وانتشار الشر والظلم في اعتقاد اليهود، وقيام الدولة اليهودية واختطاف الكنيسة وأحداث زمان الضيق في اعتقاد النصارى.
4. إن عدد المقاتلين والمشتركين في الملحمة الكبرى عدد عظيم، وكذلك عدد الأموات بعد القتال يكون كثير جدًّا.

E: ISSN: 2716-6889 I E: ISSN: 2716-6902
http://devojs.usas.edu.my/altakamul/index.php/altakmulfiles

وأما الأمور المتختلفة:

أ- اختلاف الإسلام وأهل الكتاب في تسمية المعركة، فالمسلمون يسمونها "الملحمة الكبرى"أو"الملحمة العظمى"لكثرة المقاتلين فيها، وأما اليهود يعبرونها"يوم غضب الرب" عقوبة عليهم لإنكارهم عن أوامر الله وبظلهم بالآخرين، والنصارى "هرمجدون" مشتق من موضع الملحمة في مجدو.

ب- اعتقد المسلمون أن أطراف الملحمة يكون بين جيش المسلمين ضد الروم وأتباعهم، وأما عند اليهود أنهم يواجهون جيش الأمم من أنحاء العالم، واعتقد النصارى أن أطراف الملحمة بين قوى الخير من المسيح وأتباعه وقوى الشر من ملوك الأرض، والوحش، والنبي الكذاب، والشياطين.

ت- الغرض من هذه الملحمة عند المسلمين أنها المحاربة الدينية نصرة لدين الله ﷻ، ودفاعًا لإخوانهم ومحاربة للطاغوت والشرك. وأما عند النصارى فإن الملحمة تكون لأجل انتصار الخير على الشر والوصول إلى نهاية السعادة بخلافة المسيح عيسى عليه السلام، واعتقاد اليهود أنها عقوبة الرب عليهم قبل الوصول إلى فطرة الخلاص في نهاية الزمان.

ث- النتيجة من هذه الملحمة مختلفة بين الديانة السماوية، فأما عند المسلمين تكون نصرة الإسلام على الروم مع ثلثي جيش المسلمين يموتون شهداء في المعركة، وأما عند النصارى هلاك قوى الشر من أنحاء العالم كملوك الأرض، والوحش، والنبي الكذاب، والشياطين. واعتقد اليهود أن ثلثيهم يموتون في أيام الحصار وفي المعركة، والباقي ينجون من الموت يوم غضب الرب.

قائمة المصادر والمراجع

ابن كاتب قيصر. (١٩٩٤م). تفسير سفر رؤيا. د.ط. تحقيق ارمانيوس حبشي. د.م: مكتبة المحبة.

ابن منظور، محمد بن مكرم أبو الفضل جمال الدين الإفريقي. (1414هـ). لسان العرب. ط٣. بيروت: دار الصادر.

أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني. (د.ت). السنن. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. د.ط. بيروت: المكتبة العصرية.

أحمد شلبي. (1998م). المسيحية. ط١٠. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.

أحمد، محمد خليفة حسن. (1418هـ). تاريخ الديانة اليهودية. ط١. القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع .

الأحمدي، ياسر بن عبد الرحمن. (١٤٣٤هـ). ملاحم آخر الزمان عند المسلمين وأهل الكتاب وآثارها الفكرية. ط٢. الرياض: مكتب مجلة البيان.

البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله. (1422هـ). الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه. تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر. ط١. دار طوق النجاة.

بطرش عبد الملك، وجون ألكسندر طمس، وإبراهيم مطر. (2005م). قاموس الكتاب المقدس. ط١٤. القاهرة: دار مكتبة العائلة.

بطرش عبد الملك، وجون ألكسندر طمس، وإبراهيم مطر. (2005م). قاموس الكتاب المقدس. ط١٤. القاهرة: دار مكتبة العائلة.

البعلبكي، منير. (1980م). موسوعة المورد. ط١. بيروت: دار العلم للملايين.

الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى. (1395هـ). السنن. تحقيق: أحمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة. ط٢. مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي.

الحاكم، محمد بن عبد الله أبو عبد الله النيسابوري. (1411هـ) المستدرك على الصحيحين. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية.

حسن ظأظأ، (١٩٨١م) الفكر الديني الإسرائيل وأطواره ومذهبه. د.ط. القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية.

د.م. (2000م). "علامات الأزمنة الأخيرة". مجلة مدارس الأحد، الأعداد من شهر يونية 1998-1999. ط١. مصر: مجلة مدارس الأحد.

الزبيدي، محمد بن محمد أبو الفيض. (د.ت). تاج العروس من جواهر القاموس. د.ط. دار الهداية.

السقاف، علوي بن عبد القادر. (1435هـ). أحاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة المتعلقة بالشام دراسة شرعية واقعية. ط١. المملكة العربية السعودية: مؤسسة الدرر السنية للنشر.

طعمية، صابر. (1406هـ). الأسفار المقدسة قبل الإسلام. ط١. بيروت: عالم الكتب .

عبد المعبود، مصطفى. (1431هـ). علامات آخر الزمان في اليهودية. ط١. د.م: مكتبة النافذة.

الفيومي، سعيد بن يوسف. (1880م). الأمانات والإعتقادات. ط١. تحقيق: صامول لاندور. هولندا: مطبعة بريل.

القاري، علي بن سلطان محمد أبو الحسن. (1422هـ). مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح. ط١. بيروت: دار الفكر.

الكتاني، محمد حمزة بن علي. (1434هـ). مفهوم الخلاص في الديانة اليهودية وأثره في الواقع اليهودي والحوار الإسلامي- اليهودي. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية.

الكتاني، محمد حمزة بن علي. (1434هـ). مفهوم الخلاص في الديانة اليهودية وأثره في الواقع اليهودي والحوار الإسلامي- اليهودي. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية.

المسيري، عبد الوهاب. (1999م). موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية. ط١. القاهرة: دار الشروق.

مواقع الإنترنت:

أطلس المعرفة. (٢٠٢٠م). الفرق بين التوراة والتلمود؟ حقائق قد تعرفها لأول مرة .https://atlas-know.com/